ظاهرة الاستلاب الفكري المؤدي إلى التطرف في العراق بعد العام 2003

(الاسباب والمعالجات)▽

The phenomenon of intellectual alienation leading to extremism in society after 2003(Causes and treatments)

م. د محمد محي الجنابي * Mohammed muhi Aljanabi

المخلص

تعدّ الخصوصية الثقافية أهم رافد من روافد الهوية الفكرية في اي مجتمع كان، ولا ريب أنَّ التفكير ذو الطابع الخصوصي واحدة من مقومات الحفاظ على الكائن البشري، لأنَّ ضياع الهوية الفكرية الذاتية تعني ببساطة ضياع الإنسان، وهنا يحدث فعل الاستلاب الفكري، ويترك آثاره على البشر لدرجة أن من يُصاب به، سوف يفقد قدرته على الاحتفاظ بفكره الخاص الذي نهله من بيئته وعمقه الفكري والثقافي، لذا فان الشعور بالدونية إزاء الفكر الأقوى، يمثل أخطر الأسباب التي تدفع العقل الجمعي الأدنى على الاستسلام، ولاشك أنَّ لظاهرة الاستلاب الفكري أسباباً واثاراً في الوقت ذاته، يشكل التطرف إحدى نتائج الاستلاب الفكري بشكل عام وفي العراق بشكل خاص ، نتيجة أسباب متداخلة منها يتعلق بالشأن الاقتصادي وأخرى بالشأن السياسي، وصولاً إلى تنامي ظواهر جديدة لم يألفها المجتمع العراق كالإرهاب وتفاقم حدة صراع الهويات الفرعية وغيرها من الأسباب، التي تتطلب العمل وبشكل جدي على ايجاد حلول بدء بعوامل التنشئة مروراً بحلول بالمؤسسات الإعلامية والدينية وصولاً إلى فواعل ذات مديات سياسية_ أمنية .

الكلمات المفتاحية: الاستلاب الفكري _ التطرف العنيف_ التنشئة_ الإرهاب

Abstract

Cultural identity is the most important tributary of intellectual identity in any society, and there is no doubt that the loss of self-identity simply means the loss of a human being, and here intellectual alienation and its effects on the

▽ تاريخ التقديم : 2023/7/84 تاريخ القبول: 2023/8/15 تاريخ النشر: 2023/9/31
* تدريسي في كلية العلوم السياسية _ جامعة النهرين mohmohi@nahrainuniv.edu.iq

human being occur that push him to surrender to the other, and this needs solutions that start with factors of socialization, media, religious institutions, as well as political parties actors..

Key words: intellectual alienation – extremism – upbringing – terrorism

المقدمة

تعدّ الخصوصية الثقافية أهم رافد من روافد الهوية الفكرية في اي مجتمع كان، بوصف التغيرات الحاصلة في العالم المرافقة لظاهرة العولمة، قد أضحت ذات طابع شمولي تشهده المستويات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، كما ان المجتمع العراقي بعد العام 2003 ليس في منأى عن هذه التحولات، وفي هذا الصدد، تُطرح قضية خصوصية الثقافة في مقابل التبعية للآخر، ومن ثم فقدان الهوية وتشكل إطار هوياتي جديد يعمل على إعادة صياغة المفاهيم والأفكار يكون التطرف احدها، ولا ريب أنَّ التفكير ذو الطابع الخصوصي واحدة من مقومات الحفاظ على الكائن البشري ، لأن ضياع الهوية الفكرية الذاتية تعني ببساطة ضياع الإنسان، وهنا يحدث فعل الاستلاب الفكري، ويترك آثاره على البشر لدرجة أن من يُصاب به، سوف يفقد قدرته على الاحتفاظ بفكره الخاص الذي نهله من بيئته وعمقه الفكري والثقافي، فحين يفتقد مجتمع ما إلى الفكر الذاتي الذي نشأ بنشوئه، فإن شخصيته الفكرية "الجمعية" قد تتعرض الى ما يسمى ب"التصفير شبه التام"، ويغدو مستلَبا على نحو تام.

ويمثل الاستلاب الفكري حالة معرفية تسعى إلى تحقير الذات ومعارفها، ومن ثم تمجد ثقافة الأخر، وتسعى للذوبان فيها، على حساب مصالح المجتمع ومستقبله، وتكمن هذه الظاهرة بصورة الانبهار والدهشة بكل ما هو أجنبي مع زرع بذور الشعور باليأس وعدم الثقة بالنفس، وفي الحقيقة، فإن الشعور بالدونية إزاء الفكر الأقوى، يمثل أخطر الأسباب التي تدفع العقل الجمعي الأدنى على الاستسلام، ولاشك إن لظاهرة الاستلاب الفكري أسباباً واثاراً، في الوقت ذاته، يشكل التطرف إحدى نتائج الاستلاب الفكري بشكل عام وفي العراق بشكل خاص، نتيجة أسباب متداخلة منها يتعلق بالشأن الاقتصادي وأخرى بالشأن السياسي، وصولاً إلى تنامي ظواهر جديدة لم يألفها المجتمع العراق كالإرهاب وتفاقم حدة صراع الهويات الفرعية وغيرها من الأسباب التي تتطلب العمل وبشكل جدي على ايجاد حلول بدء بعوامل التنشئة مروراً بحلول اقتصادية وصولاً إلى فواعل سياسية .

أهمية البحث:

تكمن اهمية الدراسية بكونها تسلط الضوء على مفهوم الاستلاب الفكري واثاره السلبية بوصفه احد عوامل تنامي التطرف في العراق بعد عام 2003، فضلاً عن طرح وسائل تحصين المجتمع العراقي من شأنها الاسهام في مكافحة التطرف مستقبلاً.

إشكالية البحث:

تنطلق اشكالية البحث من قدرة النظام السياسي العراقي القائم بالاشتراك مع فواعل المجتمع المختلفة في ايجاد وسائل تحصين المجتمع العراقي من ظاهرة الاستلاب الفكري، بوصف الأخير أحد عوامل تنامي ظاهرة التطرف في العراق بعد عام 2003، ومن ثم يطرح البحث تساؤلات عدة، أهمها:

1_ ما مفهوم الاستلاب الفكري؟

2_ ماذا تسعى الجماعات التي تقف وراء نشر الاستلاب؟

3_ ما أسباب تنامي ظاهرة الاستلاب الفكري في العراق بعد العام 2003؟

4_ ما وسائل تحصين المجتمع العراقي من الاستلاب الفكري؟

فرضية البحث:

استناداً الى الإشكالية فقد انطلقت فرضية البحث من ان وصف ظاهرة الاستلاب الفكري هي إحدى عوامل تنامي ظاهرة التطرف بشكل عام وفي العراق بشكل خاص، وذلك يستدعي معرفة أسباب انتشاره وتحليلها، ومن ثم طرح وسائل تحصين المجتمع منها، التي من المفترض توفر حلولاً تحد من تلك الظاهرة من جهة، وإحدى آليات مكافحة التطرف في العراق بعد عام 2003 من جهة أخرى.

أولاً_ الإطار النظري في ماهية الاستلاب الفكري والتطرف

تقتضي ضرورات البحث العلمي خاصة في الدراسات والبحوث ذات الطابع السياسي إلى التطرق لأهم المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في الدراسة لتوحيد الرؤى في المقاصد التي يتوخاها الباحث في العديد من معاني المفاهيم والمصطلحات المستخدمة داخل الدراسة، بسبب وجود فسحة في تفسير العديد من المعاني ضمن الدراسات السياسية، قد تختلف بين باحث أو أخر من جهة، أو ما بين قارئ وأخر من جهة أخرى، لذلك سنتطرق لمفهومي الاستلاب والتطرف، كما في المطالب الآتية:

1_ ماهية الاستلاب الفكري:

إنَّ ظاهرة الاستلاب هي في الحقيقة نتاجاً لخطاب الواقع الوهمي، التي تنطلق من فلسفة التأثر بالآخر واستفراغ الذات من محتواها، أي بمعنى استفراغها من مكوناتها الهوياتية وروافد الفكرية، إذ جاء معنى استلب من الجذر اللغوي (س، ل، ب)، إذ جاء الاستلاب في لسان العرب من معنى " سلبهُ الشيء، يسلبه سلباً، استلبه اياه"، وجاء أيضاً رجل سليب أي بمعنى مُستلب العقل[1]. كما ورد معنى الاستلاب في معجم المعاني الجامع، (حاوَلَ استلاب أَمْوالِهِ، بمعنى اِخْتِلاَسَها)، وحين يُقال، إنه "يَعِيشُ حَياةَ استلاب"، أي "يعيش حَياةَ خُضُوعٍ واسْتِعْبادٍ بِفِعْلِ ظُرُوفٍ اجْتِماعِيَّةٍ، اقتصاديَّةٍ، أو فِكْرِيَّةٍ خَارِجَةٍ عَنْ إِرادَتِه".[2]

ويمثل الاستلاب الفكري حالة معرفية تحقر الذات وثقافتها وافكارها وعلومها، وفي الجهة المقابلة تمجد علوم وافكار وثقافة الأخر، ومن ثم تسعى للإندماج أو حتى الذوبان فيها، وذلك على حساب مصالح المجتمع وحتى مستقبله، وتكمن هذه الظاهرة بصورة الانبهار بكل ما هو غريب (أجنبي) من جهة، وزرع بذور الشعور باليأس وعدم الثقة بالنفس من جهة أخرى، الأمر الذي يؤدي إلى اشاعة كل ما هو شاذ عن واقع المجتمعات، التي تؤدي إلى زعزعة القيم النبيلة فيها، لغرض تهيئة الظروف التي تتقبل الأفكار والمبادئ الوافدة، وهي تتقاطع بلا أدنى شك مع الهوية الفكرية لهذه المجتمعات[3]. ومن هنا، إنَ مفهوم الاستلاب الفكري يتمثل بطابع التضاد مع الخصوصية الفكرية الثقافية، من خلال هيمنة نموذج ثقافي وفكري مسيطر يمتلك المقومات المسيطرة تجاه ثقافة ينتابها الضعف، قد يكون نتيجة خروجها عن الإطار

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، م1 ، دار صادر، بيروت، لبنان، 2010، ص 471.

[2] نقلاً عن : عبد الرزاق عبد الحسين، كيف نتحرر من الاستلاب الفكري، مقال في شبكة النبأ الالكترونية، متاح على الرابط الأتي: https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/13706 تاريخ الدخول (2021/3/9).

[3] مجدي وهبه، معجم مصطلحات الادب، مكتبة لبنان ، بيروت، 1974، ص 9.

التاريخي والمرجعي للمجتمع تارة، أو نتيجة قطيعة مع الصيرورة التاريخية تارة أخرى"، لذلك فأن الاستلاب الفكري هو "شكل من أشكال الصورة المشوهة للذات، يعتريه التماهي بين الذات والآخر ولا صيرورة له، بمعنى إنه مفعول به، فقط، لفاعل دلالي هو الآخر".[1]

واتساقاً مع ذلك، فإن الشعور بالدونية إزاء الفكر الأقوى المهيمن، يمثل أخطر الأسباب التي تدفع العقل الجمعي الأدنى على الاستسلام، إذ بمجرد إصابة الشخصية (الفرد ، أفراد) بهذا النوع من الشعور، يصبح مستسلما للآخر بنحو كلّي، الأمر الذي يؤدي بيه بالوقوع في أسره بشكل تام، وتبقى الهوية الفكرية الخاصة في حالة ضمور وعجز شبه تام على مواجهة الفكر الدخيل، ولعل أخطر ما في الشعور بالدونية، حين يتحول إلى نمط جماعي، يصيب المجتمع كله أو اجزاء كبيره منه، هنا يصير العقل الجمعي مشلولاً بنحو تام، ومن ثم تندثر أسباب وعناصر المواجهة جميعها[2]. وتسعى الجماعات التي تقف وراء نشر الاستلاب إلى:[3]

أ. اشاعة جو عام بالإحباط واليأس، مما تسهل عملية الانقياد مستقبلاً.

ب. الانطلاق من فرضيات مسبقة تفسر الواقع بدون الرجوع الأسباب الحقيقية.

ج. فرض ثقافة القطب الأوحد وطرائق تفكيره على حساب الثقافة الوطنية عبر وسائل الاتصال والتواصل المختلفة.

د. تعزيز الفجوة بين المثقف ومجتمعه عبر توهين والغاء الرابطة الروحية بينهما.

هـ. نشر الأفكار الهدامة عبر انسلاخ الشعوب عن جذورها التأريخية والحضارية المتمسكة بها.

والآلية التي يعمل عن طريقها الاستلاب الفكري هي (الاستدماج)، وتعني استجابة المرء لفكرة أو قيمة أو نمط معين ينتمي إليه شخص آخر أو جماعة أخرى، والتوحد معه، وتكييف الذات وفقًا لمعطياته، وذلك من خلال التغير الاجتماعي والثقافي والفكري، القائم على الاستجابة غير الناضجة أو في الحالات السلبية للنموذج المغاير تحت تأثير الانبهار أو باستخدام وسائل الاستمالة أو الضغط، وقد يتعدّد ما ينطوي عليه

---

[1] سليم عطاوة وعامر يحياوي، (مفهوم الاستلاب الثقافي وأثره في الهوية لدى الشباب الجزائري)، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد (1)، جامعة زيان عشور الجلفة، الجزائر، 2019، ص 72.

[2] صلاح حسن ، (دور الأمن الفكري في تحقيق السلم الاجتماعي، مجلة كلية القانون) ، ج1، المجلد(4)، العدد (12) ، كلية القانون والسياسة، جامعة كركوك، 2015، ص ص 530-532.

[3] كريم محمد حمزة، الاختراق الثقافي، مجلة دراسات اجتماعية، العدد (6)، قسم الدراسات الاجتماعية _ بيت الحكمة، بغداد، 2000، ص46.

النموذج المغاير من عادات وسلوكيات وممارسات (الملبس ، نوعية الطعام، نظام الترفيه نظام التعليم، شكل الانتماء العائلي، العلاقة بين الجنسين... إلخ)، وقد تنطوي نماذج الاستمالة نهج التربية، الاستهلاك، والعلاقة مع دور العبادة، والممارسة السياسية وغيرها.[1] وهنا، ينبغي التمييز بين المثاقفة وبين الاستلاب الفكري، فالأولى "تعني الاستجابة الإيجابية الناضجة لبعض الأفكار والمعالجات العميق ، ومن ثم تضمينها نسيج الثقافة الخاصة بالذات تضميناً يطور من أفق حياة الذات في اتجاهها الأصلي نفسه، وفي الوقت ذاته، يلتقي الاستلاب مع الإغتراب في عدم الإنتماء، إذ يعرف الإغتراب بحالة عدم الإنتماء إلى المجتمع، لكنه شعوراً شكلياً ظاهرياً، نتيجة الرفض المؤقت للزمان، الأمر الذي يؤدي بالمغُترب إلى رفض الواقع، بينما يشير الاستلاب إلى فقدان الذات بدون شعور الشخص المُستلب بذلك، نتيجة سطوة الأخر عليه، مما يجعل القرارات منساقة مع توقعات الأخرين التي تنتج افعلاً زائفة، تجعل من الشخص المُستلب أدوات لتنفيذ مشاريع وأفكار خارجية بعيداً عن واقع المجتمع"[2].

2_ ماهية التطرف:

لا جرم بأن مفهوم التطرّف يمثل واحد من المفاهيم التي يصعب تحديدها، وذلك بسبب ما يشير إليه المعنى اللغوي لهذا المصطلح، الذي يختلف من مجتمع إلى آخر بناءً على نسق القيم السائدة، فما يعدّه مجتمع سلوكاً متطرفاً قد يكون مألوفاً في مجتمع آخر، وفي الواقع، إنَ الإعتدال والتطرف هما مرهونان بالعديد من المتغيرات " الحضارية ، الفكرية، الدينية، السياسية..)، إذ يعرّف التطرف في اللغة "هو البعد عن الوسط والوقوف في الطرف[3].

ويّعرفه ابن منظور على انه "مجاوزة حد الاعتدال أو عدم التوسط[4]. وفي موضع أخر، يعدُ التطرف "حالة من التعصب للرأي الخاص والذي لا يعترف معه بوجود أراء للآخرين، وهي حالة جمود الشخص على فهمه بحث لا يسمح لهُ برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع ولا ظروف العصر، ولا يفتح

---

[1] للمزيد حول المثاقفة ينظر: وليد منير، التنمية وازمة الثقافية (بين ظاهرة الاستلاب وفاعلية التغيير_ دراسة في التأصيل المعياري للتحديات)، مجلة ثقافتنا ، (المجلد6 ، العدد 22)، مركز الدراسات الثقافية الايرانية، 2010، ص 132.

[2] مجاهد عبد المنعم مجاهد، الاغتراب في الفلسفة المعاصرة، ط1، سعد الدين للطباعة ، دمشق، 1982، ص 20.

[3] الوهاب الافندي وآخرين، الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي، ط1، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ابو ظبي، 2002، ص93.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص68.

نافذة للحوار، والأخذ بما بعد ذلك بما يراه أنصع برهاناً وأرجح ميزاناً"[1]. كما يعرف بأنه "الاقتناع بالأفكار الضالة والباغية، في إطار من عبادة النفس، والإصرار على حمل الناس على اعتناق هذه الأفكار، وعدم قبول الحوار والرأي الآخر[2].

ويعرف ب "أنشطة تتمثل في معتقدات واتجاهات والمشاعر، التي يتبناها شخص ما أو جماعة معينة وبطريقة بعيدة عن الأوضاع السائدة بين أفراد المجتمع، تبرز من خلال مواقف محددة بوصفها إحدى أشكال الصراع بين جماعات متطرفة والسلطة السياسية، وقد يتقارب هنا الاستلاب الفكري مع التطرف بوصفهم انطلاق الافكار من رفض الواقع والشروع بالأعمال العدائية التي تضر بالمجتمع ككل، ويمكن ملاحظة ذلك عبر العديد من المشتركات وأبرزها[3]:

أ. إنَّ جماعة النظرة (المتطرفة نتيجة الاستلاب) لديهم رغبة جامحة في إقصاء الاخرين، (وحسب وجهة نظرهم) فهم الوحيدون القادرون على فهم الواقع والحقائق ، ومن هنا نرى المشتركات مع الساعين لفرض الاستلاب الفكري مع المتطرفين.

ب. إنَّ جماعة الفكر المتطرف غالباً ما يحملون توجهات فكرية، التي تمثل وجه أوحد، وكذلك طريق الحياة لها إلا مسار واحد فحسب، وهنا يتم توجيه المُستلب بناء على تلك الرؤى.

ج. إنَّ جماعة الفكر المتطرف غالباً ما يحملون توجهات فكرية لا يرغبون التنازل عنها، كما أنهم ليسوا مستعدّين لمناقشة الاخرين فيها.

واتساقاً عمّا سبق، فأن الاستلاب الفكري يتلاقى مع التطرف بوصفه إحدى عوامل تنامي الاخير، لاسيما في امتداداته على المستويات الإنسانية في تفاعلاته وعلاقاته الاجتماعية، وأبرزها:

أ. المستوى الفكري: يتلاقى الاستلاب مع التطرف على المستوى الفكري من خلال فرض نمط من أنماط التفكير الذي يمتلك نزعة فردية، ينعكس ذلك مباشرة على الذات أو على الآخرين، مما يؤدي إلى التشكيك في الأهداف والمصالح، وحتى العقائد، التي بدورها تؤدي إلى وزعزعة الأمن الفكري وإثارة

---

[1] محمد عبد الباقي الهرماسي وآخرون، الدين في المجتمع العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص217.

[2] أحمد كامل الرشيدي، بحوث ودراسات تربوية في الميزان، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1998، ص125.

[3] عزيز جبر شيال، ظاهرة العنف والتطرف، الاسباب والمعالجات، مجلة الأستاذ، كلية التربية، العدد 64، 2017، ص850.

العنف داخل المجتمع، وذلك نتيجة ارتباطه بالجمود العقلي والانغلاق الفكري، وهو ما يمثل جوهر الاتجاه العام للجماعات التي تنشر الاستلاب الذي تتمحور حوله الجماعات المتطرفة، لذلك يعدّ التطرّف المعرفي أحد مستويات التطرّف الفكري، التي لا تقبل التغيير تحت طائلة (الجمود الفكري)، بوصفه نمط أحادي التفكير، يرافقه الرؤية ذي الزاوية الواحدة الذي يؤدي في نهاية المطاف الى انكار رؤى الآخرين[1].

ب. المستوى الديني: يتلاقى الاستلاب مع التطرف على المستوى الديني عبر صور المبالغة في التمسك بفهم معين للدين، والتعصب له، ومن ثم رفض ما سواه، ومحاربة المخالفين عند التمكن من ذلك، ويتطور في الغالب مع تزايد مظاهر الفساد داخل المجتمع، والتركيز عليها بوصفها مناقضة لمبادئ الدين، وقد تبدأ آليات الاستلاب والعمل عليها من خلال المغالاة وتضييق مجاف لحقيقة الدين تبدأ بإدراك وفهم خاطئ للنصوص الشرعية ومقاصدها، الأمر الذي يفضي إلى التشدد والمغالاة في بعض الأحكام والسلوكيات أو العبادات وصولاً إلى إباحة العنف والمواجهة[2].

ج. المستوى الاجتماعي: يتلاقى الاستلاب مع التطرف على المستوى الاجتماعي عبر السعي إلى الخروج عن الأعراف، والتقاليد، والسلوكيات العامة، وذلك باستخدام الغلو والإسراف في التعامل مع القضايا الاجتماعية المتعددة ، التي قد تواجه افراد المجتمع في حياتهم اليومية، لذلك يعّرف اجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها المستجيب على مقياس التطرف الاجتماعي من خلال مقياس (التعصب والجمود والتسلطية) [3].

د. المستوى السياسي: يتلاقى الاستلاب مع التطرف على المستوى السياسي عبر رفض الحوار مع مخالفيه أو التمسك بمجموعة افكار جامدة، مما يولد مشاعر من الأحباط والكبت السياسي والترويع ونقل الخوف في نفوس الاشخاص وعدم اعطاء الفرصة للتعبير عن الرأي والمشاركة في الحياة العامة أو صنع القرارات، وفي الحقيقة، فأن هذا النوع من التلاقي يرتبط غالباً بمحاولة اقلية (جماعة ثقافية) جامدة فكرياً بفرض رؤيتها وأسلوبها في التفكير على الاغلبية داخل المجتمع، أو العكس، مما يولد

---

[1] وفاء عبد العزيز سلمان، دور الاسرة في الحد من التطرف الفكري والعنف لدى الأبناء وعلاقته بالسلم المجتمعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2016، ص20.

[2] حامد طاهر، ظاهرة التطرف الديني التشخص والحل، ط1، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، 2000، ص16.

[3] للمزيد حول (التعصب والجمود والتسلطية) بوصفها مقياس لتلاقي التطرف مع الاستلاب على المستوى الاجتماعي، ينظر: غيث شاكر عارف، صناعة التطرّف وسبل المُوَاجَهة العراق ما بعد العام 2003 نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد العلمين للدراسات العليا_ قسم النظم السياسية، النجف، 2021، ص 28.

مشاعر من الاحباط والكبت السياسي، الذي يسهل عملية الاستلاب ومن ثم جعل الافراد ادورات لتنفيذ التوجهات المطلوبة[1].

يمكننا القول بأن الاستلاب الفكري يتلاقى مع التطرف في عدة مستويات، مما يسهم في تنامي ظاهرة التطرف وعلى المستويات المتعدّدة، بوصف الاستلاب حالة من الانعزال ورفض الذات التي تجري من خلال عملية متسلسلة وادوات واجراءات تستفيد من الواقع القائم، لذلك فأن الاستلاب الفكري بوصفه عامل لتنامي التطرف هو نتيجة أسباب متعدّدة على المستوي السياسي والاقتصادي والثقافي بشكل عام وتنامي تلك الظاهرة في العراق بعد عام 2003 بشكل خاص.

ثانياً_ أسباب تنامي ظاهرة الاستلاب الفكري في العراق بعد العام 2003 وسبل الوقاية

لا شك بأن الاستلاب الفكري يسيطر بالغالب على العقول ذات المستويات الثقافية والفكرية المحدودة، التي غالباً ما تكون غير محصّنة أمام أي اختراق قد يطغى على قدرتها العقلية، ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب تقود جزءاً من المجتمع نحو الاستلاب، منها ما يتعلق بسباق الامم المضطرد نحو التفوق الذي يأخذ مناحٍ عديدة، بما فيها الحروب التي أخذت شكل القوة العسكرية بغية الهيمنة من خلالها هذه المجتمعات، ولكن مع استمرار الوجود البشري وتطور أشكال الهيمنة، ظهرت قوى أخرى للسيطرة على الآخر لا تلجأ بالضرورة إلى استخدام القوة، يرافقها عوامل داخلية تسهم في تنامي تلك الظاهرة منها الفقر المادي والثقافي والعلمي، وحالة الإبهار التي يُصاب بها الأفراد المسُتلبين[2].

وقد تكون الأسباب بسبب الاضطرابات المجتمعية، التي تكون بشكل أو بأخر إحدى عوامل تنامي التطرف، وهذا ما ظهر جلياً في العراق ما بعد عام 2003، وما شهده من ظروف استثنائية بدءً بإحتلال البلاد واسقاط نظامه السياسي، مروراً بعوامل عدم الاستقرار السياسي والامني والاجتماعي، وصولاً إلى تنامي ظاهرة الارهاب، وسنتطرق لتلك الأسباب التي شكلت عوامل مساندة لتنامي ظاهرة الاستلاب الفكري في العراق بعد عام 2003، على وفق الاتي:

---

[1] حسين عبد الحميد احمد، التطرف والارهاب من منظور علم الاجتماع، ط1، دار المعرفة ، مصر، 1997، ص19.

[2] عماد يوسف، مفهوم الاستلاب العقلي، الفكري والثقافي رؤيا في نهج الاستلاب، صحيفة الحوار المتمدن، العدد 3271، 2011، متاح على الرابط الأتي:
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=245128(2023/5/9 تاريخ الدخول للموقع)

1_ الأسباب الداخلية لتنامي ظاهرة الاستلاب الفكري في العراق بعد عام 2003: يشكل الاستلاب الفكري تهديداً خطيراً، ويتجلى خطره أكثر في الدول التي تخفق في تلبية الاحتياجات الاساسية لجزء كبير من سكانها، وهو ما حصل في العراق بعد عام 2003، الذي يعاني من جملة إشكالات على الصعيد الداخلي ومنها:

أ. على المستوى السياسي: شهد العراق بعد عام 2003 جملة أزمات ترافقت معا"، وكانت اولى الازمات هي الإنقسامات الكبيرة حول شرعية السلطة بوجود الاحتلال من عدمها، ترافق مع انقسامات حادة بخصوص (مقاومة الاحتلال) قبل الشروع ببناء الدولة أو العمل السلمي أو بناء الدولة واعمال المقاومة في ان واحد[1]، في حين مثلت أزمة القيادة شكلاً اخراً من الازمات، التي تصاعدت إلى حالة صراع تجري وقائعها وخطواتها بين أنماط متضادة من الأطراف الداخلية، كانعكاس لإختلاف التوجهات والأهداف والخطط الإستراتيجية والتكتيكية بينها، التي تفاقمت اكثر بتزايد الطموحات الشخصية والفئوية لدى الزعماء السياسيين، ما يولد انطباعاً لدى الرأي العام المحلي بالعزوف عن المشاركة السياسية الإيجابية واللجوء غالباً الى (عدم مشاركة في الانتخابات، تظاهرات، احتجاجات)[2]، وتلك الازمات القت بظلالها على أفراد المجتمع العراقي، وكانت إحدى أسباب الإغتراب أو التطرف والاستلاب، نتيجة الأسباب الآتية[3]:

1) العديد من معطلات سيادة القانون (مشكلات في بعض المواد الدستورية، العلاقة بين الاقليم والحكومة الاتحادية، ...).
2) تواتر الازمات السياسية والتخبط في ادارة الملفات، على المستوى الداخلي والخارجي.
3) التدهور الأمني، مع استمرار الخروقات الامنية.
4) عدم مصداقية الوعود (الاخفاق في شرعية الانجاز) لاسّيما في ملف الخدمات (الامن–الكهرباء– بناء القوات المسلحة–مكافحة الفساد–الاقتصاد– القضاء على الامية– الفقر... الخ).

---

[1] للمزيد حول جدل الشرعية ومجلس الحكم المؤقت ينظر: محمد محي الجنابي، سياسات إعادة تأهيل مجتمعات ما بعد النزاع (دراسة حالة العراق بعد احداث عام 2014)، ط1، دار دجلة موزعون وناشرون، عمان، 2020، ص 46_47.

[2] كامل حسون القيم، البرلمان والحكومات المحلية في الرأي العام العراقي، مجلة حمورابي، العدد5، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العراق، 2013، ص155.

[3] كامل حسون القيم ، مصدر سبق ذكره، ص 158.

ب. المستوى الاقتصادي: يشكل العامل الاقتصادي من أهم مسببات تنامي الاستلاب الفكري الذي يؤدي بدوره إلى تعزيز الزحم المتزايد للتطرف، ويُعد الثالوث (الفقر والبطالة والفساد) من أكثر العوامل المساندة لتنامي الظاهرة، فكلما كان دخل الفرد يفي بمتطلباته واحتياجاته الرئيسة كان استقراره الاجتماعي أكثر ثباتاً، في المقابل فأن دخل الفرد المنخفض ولا يسد حاجته ينعكس سلبياً بشكل عدم رضا الفرد عن مجتمعه، وشعر أنَّ موطنه لم ينصفه، ويتحول هذا عدم الرضا في معظم الأحيان إلى كراهية وحقد ونقمة على مجتمعه، ولاسيما عندما يرى التفاوت بينه وبين الأفراد الأخرين دون وجه حق، ولاسيما إذا اقترنت هذه الفروقات بتدني مستوى المعيشة والسكن وغيرها من الخدمات الرئيسة التي يقدمها النظام السياسي الحاكم[1].

في حين أضحت ظاهرة البطالة في العراق بعد عام 2003 من أعقد التحديات التي تواجه النظام السياسي، إذ تفاقمت مع بروز ظاهرة عدم الاستقرار، التي ترافقت مع العجز الحكومي عن اداء المهام المنوطة بها و تنامي وتيرة الإرهاب، التي زادت نشر الاستلاب الفكري المؤدي إلى التطرّف، في مختلف المحافظات العراقية [2]. كما أن انتشار الفساد يعد من أهم دوافع الاستلاب المؤدي إلى التطرّف، بوصفه أهم المهددات التنموية، التي تهدد اقتصاد البلاد والبنى التحتية من جهة، ويتيح للتستر على المجرمين والارهابين وربما وحتى إطلاق سراحهم مقابل (رُشَى) يتم تقاضيها من جهة أخرى، الأمر الذي سنعكس سلبياً على الفرد العراقي بشكل من الاغتراب والفجوة بين المواطن ونظامه السياسي، نتيجة تتزعزع ثقة المواطن بالنظام، مما يدفعه إلى الانفصال عنه، والعودة باتجاه التمسك بالتنظيمات التقليدية (العشيرة، الطائفة، الدين)، أو باتجاه التنظيمات الارهابية المتطرفة، التي تقف بالضد من فكرة الدولة، أو قد تدفعهُ بإتجاه تبني مواقف أكثر حدة في التعبير عن مطالبهُ بالاحتجاج والتظاهر المصحوب بالعنف [3]، وكلها صوراً ومسببات للاستلاب الفكري.

---

[1] غيث شاكر عارف، مصدر سبق ذكره، ص 59.

[2] عايدة سعيد حسين، البطالة في الاقتصاد العراقي اسبابها وسبل معالجتها، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاقتصادية ، العدد (8) ، المجلد (4) ،جامعة الانبار، 2012، ص80.

[3] غيث شاكر عارف، مصدر سبق ذكره، ص 80.

ج. المستوى الاجتماعي _ الثقافي: لا شك بأن العوامل الاجتماعية والثقافية، قد أدت ادواراً ملحوظة في تنامي ظاهرة الاستلاب الفكري المؤدي إلى التطرف في العراق بعد عام 2003 ، ولعل أهمها ما يأتي[1]:

1) صراع الهويات: شهدت مرحلة ما بعد 2003 تزايد في التمايز الاجتماعي وبروز الهويات الفرعية بشكل اكبر، ويعد ذلك من أهم عوامل تنامي الفكر الطائفي وتمدده على حساب الفكر المدني الديمقراطي الذي يتجسد في الترويج للمواطنة كأساس لبناء الدولة التي تحقق مبدأ التوازن لأفراد المجتمع بين حقوقهم وواجباتهم.

2) الاخفاق في تحقيق العدالة الاجتماعية نتيجة اتساع الهوة بين المتخمين والمحرومين الذين يعيشون تحت خط الفقر، حتى في السنوات التي ارتفعت فيها عوائد النفط، ترافق ذلك مع الاخفاق في ايجاد سياسة للضمانات الاجتماعية ، التي ترافقت مع ارتفاع اعداد الفئات الهشة (اليتم والترمل والتشرد)، ناهيك عن مشكلات التفكك الاسري، والعنف الاسري، وزيادة معدلات الطلاق وانخفاض معدلات الزواج.

3) قصور آليات التنشئة الاجتماعية بعد العام 2003 ، التي من شأنها احتواء ظاهرة الاستلاب والتطرف عبر دورها في توعية المجتمعات باتجاه رفض هذه الظاهرة، وفي المقابل فأن القصور والاخفاق في دورها المنشود يمثل احد الأسباب الرئيسة وراء استشراء ظاهرة الاستلاب الفكري المؤدي للتطرف، لأن تلك المؤسسات هي في الحقيقة منظومة اجتماعية توعوية تعزز الوعي الجمعي وتقوي الأواصر الثقافية بين أبناء البلد الواحد، ومن ثم تعمل على تشييد الحصانة الفكرية ضد الأفكار الهدامة الداعية للاستلاب والتطرف [2].

4) دور حركات الإسلام السياسي السلبي في العراق بعد عام (2003)، التي وظفت الدين وإعتمدت على الإستنفار الأيديولوجي في العمل السياسية بغية مقارعة القوى المناوئة لها، مما ضيق ذلك من إمكاناتها على بناء علاقات تعتمد الحوار، ترافق ذلك مع الإخفاق بتأدية الأدوار الإيجابية في التنشئة المطلوب منها، ناهيك عن عدم تحملها المسؤولية الوطنية من اجل إيجاد سياسة الإجماع الوطني[3].

---

[1] ميثم الجنابي، فلسفة الهوية الوطنية العراقية، ط1، دار ميزوبوتاميا للطباعة والتوزيع، بغداد، 2012، ص120.

[2] دنيا جواد، الارهاب في العراق – دراسة الاسباب الحقيقية (دراسة تحليلية الاسباب الارهاب في العراق. ومتغيراته الاجتماعية والسياسية)، مجلة العلوم السياسية، العدد (43)، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 2011، ص 132.

[3] محمد محي الجنابي، مصدر سبق ذكره، ص 107.

5) تدنى جودة التعليم التي تعني سلسلة الانشطة التي تهدف إلى احداث تغييرات مقصودة في معرفة وسلوك المتعلم (الفرد)، عبر مبدأين، يتعلق المبدأ الاول بالنمو المعرفي للمتعلم (الفرد)، واما المبدأ الثاني يتعلق بدور التعليم في تعزيز قيم المواطنة والنمو الابداعي للمتعلم[1]، إذ يُعد التعليم اللاعب الرئيس في تنفيذ البرنامج الايديولوجي للأنظمة السياسية لتنشئة الأفراد على القيم والاتجاهات، التي تمكنهم من التكيف مع إتجاهات النظام نفسه، ومن ثم تحقيق أهدافه، إذ شهد التعليم في العراق بعد عام 2003 تحولات ملحوظة، بعد العديد من الازمات التي تعرضت لها مؤسسات التعليم خلال مرحلة الإستبداد قبل عام 2003 وما بعد عام 2003 التي ترافقت مع اخفاقات النظام الجديد، وذلك جعل المؤسسات التعليمية في العراق غير قادرة على مواكبة التغييرات التي حدثت على مستوى إحتياجات المجتمع ، وبات تدني مستوى جودة التعليم في العراق احد مسببات تنامي ظاهرة الاستلاب الفكري المؤدي للتطرف[2].

2_ الاسباب الخارجية لتنامي ظاهرة الاستلاب الفكري في العراق بعد عام 2003:

لا شك بأن المشهد العراقي بعد عام 2003 أدى الى تطور ادوار القوى الإقليمية _الدولية داخل الساحة العراقية، وقدرتها على التدخل في شأنه الداخلي، بسبب شعور العديد من تلك الدول بخطورة بوادر التجربة الديمقراطية الجديدة ، التي ترافقت مع تعثر سياسات المحتل الامريكي، الامر الذي انعكس بشكل تشظي الهويات للمكونات العراقية، في حين ان اغلب القوى والاحزاب السياسية العراقية، قد باتت تبحث عن ضمانات من دولاً إقليمية أو دولية لتحمي وجودها ، وبلا شك فقد أدت تلك الدول أدواراً سلبيةً على الإستقرار الداخلي، التي سنتطرق لها ، كما يأتي:

أ_ دور الإحتلال الامريكي والقوى المتحالفة معه: التي عملت على تفكيك العديد من مؤسسات الدولة بما فيها حل الجيش والأجهزة الأمنية، الامر الذ أحدث الإحتلال خراباً اقتصادياً وتفكيكاً للبُنية الإجتماعية، مما عزز من سيادة الفوضى، وانتج ذلك مجموعة من السلطات تتحكم بها الإدارة الامريكية بدلاً من الشروع ببناء الدولة ، ناهيك عن الاخفاقات الأخرى لقوات الاحتلال مثل إيجاد حلول عقلانية تُنهي الحرب مع (الفصائل المسلحة (المقاومة) من جانب، ومن الجانبي الاخر هو اخفاقها في حماية الحدود الخارجية

[1] محمد السيد علي، (موسوعة المصطلحات التربوية)، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص255.

[2] : اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، التعليم والهوية في العالم المعاصر مع التطبيق على مصر، ط1، العدد (66)، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الامارات، 2001، ص32 .

لمنع تسرب المتطرفين، أو إيجاد قيادة سياسية في المرحلة الإنتقالية بمقدورها ان تحقق سياسات الاجماع الوطني، وكل تلك الاخفاقات مثلت عوامل مساندة لبروز ظاهرة الاستلاب عبر انعكاساتها السلبية على الواقع الامني والسياسي وحتى الاقتصادي والاجتماعي_ الثقافي [1].

ب_ التــوظيف الإقلــيمي لظاهــرة الاستلاب المؤدي للتطــرف: لم يكن ظهور التطرّف في العراق ونموه لاحقاً بمعزل عن الأحداث الإقليمية والدولية التي اندلعت بدءاً من أحداث (11 أيلول عام 2001) مروراً باحتلال افغانستان والعراق، وصولاً بأحداث ما يعرف ب(أحداث الربيع العربي) وتساقط انظمة الحكم العربي بالتتابع بشكل يشبه لعبة (الدومينو)، إذ كان لهذه الأحداث دوراً في تغذية روح الاستلاب الفكري المؤدي للتطرّف لينسحب وبالتدريج إلى العراق بعد احتلاله امريكياً ولتجد فيه أرضية خصبة ليترعرع بها، وقد وظفت العديد من الدول الاقليمية والعربية تنامي تلك الظاهرة لحسابتها الخاصة تارة، وحماية مصالحها تارة أخرى[2].

إذ لم تكن دول الجوار العربية والاقليمية راضية عن التغيير الذي حدث في العراق عام 2003، لمخاوفها من التطورات الديمقراطية التي قد تنتظرها الساحة العراقية والخشية من انتقالها لا سَيما وان العديد من تلك الدولة ذات انظمة شمولية (ثورية، قبلية، قومية)، فكان مسارات التوظيف لدعم أو مساندة ظاهرة الاستلاب والتطرف عبر التشجيع على ايجاد نظام عنصري تحت مظلة المحاصصة والفئوية، وسيطرة هوية فرعية من الهويات العراقية على زمام الأمور، بما معناه بانه قد يتقاطع مع النظام السياسي الذي يوجد في إحدى الدول الإقليمية، وتختلف مع النظام مذهبياً، ويميل إلى غيرها، لذا سعت العديد من تلك الدول الى تسهيل دخول الإرهابيين وكذلك السعي الى ايجاد التمويلات المالية للازمة لهم، ودعم الحركات المسلحة الأخرى، واستضافة خارجين عن القانون، وعقد مؤتمرات لهم وغيرها من الاعمال التي سعت تلك الدولة لتجيرها لحسابهم، وفي الحقيقة، فأن تلك الاعمال تمثل مشاهد سلبية عززت من تنامي ظاهرة الاستلاب الفكري المؤدي للتطرف وانعكست بشكل سلبي على المشهد العراق بمستوياته المختلفة[3].

---

[1] احمد فاضل جاسم، (عدم الإستقرار المجتمعي .... دراسة تحليلية في التحديات المجتمعية والآفاق المستقبلية)، مجلة السياسية والدولية، العدد (25)، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، 2014، ص7.

[2] هاني الحديثي، مكانة العراق في الاقليم مشاهد محتملة، مجلة حمورابي للدراسات، العدد،9، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العراق، 2014، ص70.

[3] لمزيد من التفصيل، ينظر: محمد محي الجنابي ، مصدر سبق ذكره، ص 119_147.

3_ وسائل تحصين المجتمع العراقي من الاستلاب الفكري

لا جرم بإنَّ خروج الفرد من الاستلاب الفكري المؤدي إلى التطرف والهزيمة الإغترابية تقع على عاتق المجتمع والدولة، التي يعيش في كنفها الفرد المُستلب، ويستدعي ذلك، العمل على تنمية الوعي الفكري الناضج لديه، بوصفه إحدى الرهانات الرابحة في عالم يموج بالعديد من التيارات الفكرية ذات الاهداف المختلفة، ناهيك عن التباين في توجهاتها ومواقفها، وعليه فإن ترسيخ الوعي الفكري السليم يشكل اليوم إحدى المهمات الرئيسة مكافحة الاستلاب المؤدي للتطرف في العراق لاسّيما بعد الانتصار العسكري والأمني على كيان داعش الإرهابي، بوصفها أهم ركائز الرسالة الحضارية للمجتمعات التي تريد أن تبني لنفسها حصناً منيعاً ضد أمواج الأيديولوجية الغريبة خاصة المتشدد منها، التي تعمل على تحويل الثقافات السائدة في بلد ما إلى شكل مغاير عن واقعها وتراثها الثقافي، وتلك الآليات أو الوسائل ترتبط بأهداف عامة تتمثل بما يأتي[1]:

أ. الحفاظ على أصالة الموروث الفكري للأمة، والشروع بصيانة منابعها من أي دنس يلوثها، الأمر الذي يكفل إعادة تحقيق شخصيتها وتمتينها، وذلك من خلال التعمق في معرفة قيم ومضامين الذات الحضارية نفسها، والتواصل المستمر مع مبادئها ومفاهيمها الإنسانية.

ب. التواصل مع الثقافات الإنسانية الأخرى عبر خلق منظومة ثقافية تواصلية، تعتني بعملية الانصات والحوار من جهة ، ونبذ الاقصاء والعنف في التعامل بين الثقافات الإنسانية من جهة أخرى، فبمقدار تواصلنا المعرفي وحوارنا الثقافي مع الآخرين نتجاوز خطر الاستلاب، لأن التجارب قد اثبتت بأن الانطواء يفضي إلى الاستلاب، بينما العقل التواصلي والثقافة الحوارية، يمَّكن الفرد من استيعاب العناصر الحيوية والفعالية لدى الثقافات الإنسانية المتعدّدة.

ج. إنَّ الحفاظ على اصالة الموروث وعملية التواصل تسهم في تجديد الفكر الحضاري والثقافي للمجتمع، الذي يستند إلى التقدم والتطور عبر مشروع عمل متواصل لخلق التقدم في المحيط الاجتماعي، فلا خروج من خطر الاستلاب الفكري المؤدي للتطرف إلا عبر النهوض بواقع المجتمع لإنجاز طموحاته وتطلعاته الحضارية.

---

[1] فلاح كاظم النعمة ، العولمة والجدل الدائر حولها ، ط1 ، دار الوراق للنشر ، عمان ، 2002 ، ص168.

ولتحقيق تلك الأهداف العامة لتحصين المجتمعات بشكل عام والمجتمع العراقي بعد عام 2003 بشكل خاص من أيديولوجيات الاختراق الفكري، ينبغي العمل على الوسائل الآتية:

أ. الأسرة وجماعة الاقرباء: تعدّ الأسرة وجماعة الأقرباء أول المؤسسات البنيوية التي تؤثر في أفكار ومواقف وسلوكيات وأخلاقيات الفرد، إذ تعمل على بتنشئة الطفل تنشئة أخلاقية واجتماعية ووطنية عبر تزرع الخصال الاخلاقية وتصب في عروقه النظام القيمي والديني للمجتمع، مما يجعل الفرد ذات توجه وسلوك يتماشى مع مثُل ومقاييس المجتمع، كما أن الأسرة تدرب الفرد على إشغال أدواره الاجتماعية والتزاماته بصورة تتفق مع القيم الصحيحة السائدة، وذلك من شأنه الحفاظ على الفرد الأخطار التي تمثلها الأفكار الخارجية في أول مرحلة من مراحل حياته[1].

ب. تحسين جودة التعليم يسهم في الحد من الاستلاب الفكري لا سيما ان التشتت والصراعات وعلى رأسها التطرف والإرهاب، تتحمله جزء من تكوينه الأخطاء في التربية والتعليم وتدني جودتهما، إذ لا خلاص من الازمات من دون العمل على تربية الفرد بروح التسامح ، وفي المقابل لا حرية دون توافر التعليم وفق المعاير الصحيحة، فهما في أي مجتمع يجب ان يكونا متوازيان، وهي مرحلة تبدأ بغلة التعليم التي تعزز الشعور بالانتماء إلى هوية وثقافة مشتركة مع ضمان التعليم بلغة الاقليات، في حين تأتي المرحلة الثانية بتنمية مهارات المعلم دوراً من خلال تمسكه بأخلاقيات ومبادئ المهنة والنهوض بأعباء مسؤولياتِه والابتعاد عن اشكال التعنيف للطلبة كافة، وتمثل المناهج الدراسية المرحلة الثالثة من وسائل التعليم في تحصين المجتمع عبر تضمينها مواد الفلسفة وعلم الاجتماع وتأريخ الأديان المقارن، التي من شأنها إزالة التعصب وتعليم الطلبة التأريخ المشرق والمشترك لحضارتهم بغية التمسك بها[2].

ج. تعزيز الديمقراطية وترسيخ مبادئ حقوق الإنسان: إنَّ تطبيق آليات العدالة الإجتماعية وقيم المساواة بين مكونات المجتمع وعدم التمييز بين المواطنين على أساس الطائفة والقومية والمذهب، يمثل إحدى ركائز ترسيخ التضامن الاجتماعي، "فالناس متى ما شعروا بأن حقوقهم وحرياتهم محفوظة وجوانبهم من المظالم مأمونة"، مما يعزز شعور الافراد بأن الجميع سواسية امام القانون دون تمايز بينهم، عندئذٍ يسود الشعور بأنَّ قيم العدالة قد ترسخت أقدامها، الأمر الذي يؤدي إلى تنامي ربط المنظومة الاجتماعية

---

[1] عبير سهام مهدي وعمار حميد ياسين، دور التنشئة الاجتماعية في تعزيز قيم التسامح والتعايش العراق انموذجاً، المجلة السياسية الدولية، العدد 40-39، المجلد 3، جامعة بغداد، 2019، ص138.

[2] نغم سعدون رحيمة، (تأثير النزاعات المسلحة على جودة التعليم في العراق)، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد (57)، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، 2017، ص 242-243.

بالدولة، ومن ثم يزداد حرص الأفراد على أمن الدولة واستعدّادهم للذود عنها، وتعدّ هذه من الدعامات الرئيسة لتحصين المجتمع من الاستلاب وتمثل عاملاً ايجابياً في مكافحة التطرف والانعزالية[1].

كما أنَّ تعزيز وتجذير قواعد الديمقراطية وصولاً إلى تأسيس دولة القانون وتحقيق المساواة في المشاركة أو تولي المناصب في المؤسسة التنفيذية على أساس الكفاءة والمشاركة في إدارة الدولة وصنع القرارات المشتركة، من شأنه تعزيز التماسك الاجتماعي والابتعاد عن النظر بتطرف للدولة والمجتمع، الأمر الذي يعزز التماسك والثقة بين الأفراد من جهة، وبين الافراد والمجتمع والنظام السياسية من جهة أخرى[2].

د. بناء اجهزة إعلامية فاعلة متقدمة بغية ايجاد ارضية ثابتة أمام التيارات الجارفة للأفكار، التي تبث سمومها في جسد المجتمع ككل سعياً لشل حركتها من المواجهة الداخلية، ويمكن الاعتماد في ذلك على مواكبة التطور التقني الذي طرأ على وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة، وكذلك الإستعانة بخبراء مختصين في وسائل التواصل الإلكتروني أو على صعيد البرامج والمواد المتلفزة.

هـ. تبني منهج الإعتدال والوسطية: الذي يعد أحوج ما يحتاج اليه المجتمع العراقي، وذلك عبر الابتعاد عن مظاهر الغلو والتطرف والانحرافات الفكرية، الذي يقي افراد المجتمع من الوقوع في الانحرافات الفكرية (الافراط والتفريط)، بوصف الوسطية قمة التوازن في النظر إلى شؤون الحياة، الذي يمثل السبيل الاوحد للحفاظ على اللحمة الوطنية العراقية من أن يصيبها أي شرخ يهدد أمنها الفكري، لذلك فأن التشخيص السليم لظاهرة التطرف والتشدد الديني، يستدعي معرفة أسباب بروزه ، التي تتُمثل اغلبها عدم المعرفة الشاملة للأحكام الشرعية ، التي تترافق مع القصور في فهم المصطلحات الدينية (كالتكفير والابتداع والركون إلى الجدل العقيم بالأمور الفرعية)، لذا فإنُّ معرفة أسباب وخصائص هذه الظاهرة يسهم في إيجاد المعالجات المناسبة للحد من مظاهرها، ومن ثم القضاء عليها، وذلك من خلال استخدام آليات تتولى المؤسسة الدينية فيها ترسيخ ثقافة السلام عبر الخطب الدينية والمحاضرات التوعوية. من أجل توضيح جوهر الإسلام الذي يعتمد على اللاعنف في أداء رسالته سعياً لكسب الصراع الفكري مع هذه الجماعات المتشددة [3].

---

[1] محمد بشير الشافعي ، قانون حقوق الإنسان ، ط4 ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2007 ، ص 19.

[2] فليب غرين ، الديمقراطية ، ترجمة محمد درويش ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 2007 ، ص 241.

[3] سليم كاطع علي ، (دور الاعتدال والوسطية في تحقيق التعايش السلمي في العراق) ، مقال منشور في صحيفة النبأ الإلكترونية ، 2018 ، متاح على الرابط:
https://annabaa.org/arabic/studies/15189 تاريخ الدخول (13_9_2023)

و. إعادة التأهيل النفسي: ان الحروب والنزاعات في العراق قد تركت أثاراً مدمرةً على حياة الفرد بشكل عام وعلى النساء والأطفال بشكل خاص، ترافق ذلك مع الافتقار إلى المراكز التي تعنى في إعادة تأهيل ضحايا الحروب والنزاعات، نتيجة تداعي الهياكل الصحية الأساس التي تدمرت هي الأخرى بسبب النزاعات، والنقص في الملاكات والمستلزمات في ظل حالة الفوضى وفقدان الأمن الأمر الذي جعل هذا القطاع يعاني من الاهمال وفي الجهة المقابلة ، قد نجحت الجماعات الارهابية من إستثمار هذا الإهمال ومن ثم حولت بعض دور العبادة وكذلك بعض السجون إلى مراكز تأهيل نفسي سلبي، لا سيما من ضحايا العمليات الارهابية المصابين باضطرابات نفسية وما يسمى (إضطرابات ما بعد الصدمة) والافراد المُستلبين الفاقدين الأمل بالحياة لا سيما أيتام الاقتتال الطائفي ابان عام 2006 ، الذين يسهل تعبئتهم، ومن ثم تحويلهم أدوات مجانية ومنفذين لأجنداتهم [1].

وأمام تلك التحديات، ينبغي السعي الى اعادة التأهيل النفسي للأفراد الخارجين من أتون النزاعات لاسّيما للنساء والأطفال والمراهقين منهم، عبر سياسات قصيرة الامد وأخرى مستدامة، كما يأتي[2]:

أ. الأمد القصير في أثناء النزاعات والحروب، التي تتطلب توافر الاحتياجات الملحة للأطفال والمراهقين المتضررين كالغذاء والخدمات الصحية الأساس والخدمات التعليمية بعيداً عن الاجراءات الروتينية المعقدة، وإتخاذ إجراءات صارمة تقلص من قدرة الجماعات الإرهابية من تجنيد الأطفال والمراهقين. في مقابل ذلك، ينبغي السعي الى تحشيد الرأي العام بغية إيجاد أليات للضغط على المجتمع الدولي بُغية النهوض بمسؤولياته تجاه البلاد بوصفه مجتمعاً مأزوماً، وهو أمر تحتمه ضرورات ومستقبل الأمن والسلم الدوليين في هذه المنطقة المضطربة من المعمورة.

ب. الامد المستدام: تتطلب هذا المرحلة الى العمل على بناء مراكز لإعادة التأهيل النفسي مع كافة مستلزماتها وكوادر دها البشرية ، والاستعانة بالخبرات وبعض الكوادر الاجنبية في الاخصائيين بهذا المجال، وكذلك الإفادة من التجارب الدولية فضلاً عن انشاء مركز وطني متخصص يُعنى بالفئات الهشة لإعادة دمجهم في المجتمع، وتشجيع الدراسات والبحوث في هذا الصدد.

---

[1] Abdul Kareem AL- Obaidi , Iraq Children s and Adolescent Mental Health Under Conditions of Continuing Turmoil , International Psychiatry , vol. 8 , no. 1 , 2011 , p p 4-5.

[2] احمد علي محمد ، أطفال الحرب في العراق، مجلة تكريت للعلوم السياسية ، العدد (11) ، كلية العلوم السياسية ، جامعة تكريت ، 2017 ، ص393، وكذلك ينظر : محمد محي الجنابي، مصدر سبق ذكره، ص 277.

الخاتمة

يُمثل الاستلاب الفكري حالة معرفية تسعى إلى تحقير الذات ومعارفها وعلومها، وفي المقابل تمجد علوم وثقافة الأخر، وفي النهاية تسعى إلى الاندماج والذوبان فيها، على حساب المجتمع ومصالحه ومستقبله، وتكمن هذه الظاهرة بصورة الانبهار بكل ما هو أجنبي مع زرع بذور الشعور باليأس وعدم الثقة بالنفس، واشاعة كل ما هو غريب وشإذ عن واقع المجتمعات وزعزعة القيم النبيلة فيها من أجل تهيئة الظروف المؤدية لتقبل المفاهيم والمبادئ والأفكار الوافدة، التي بلا ادنى شك قد تتقاطع مع الهوية الفكرية لهذه المجتمعات، ويتلاقى الاستلاب الفكري مع التطرف في العديد من الامتدادات، إذ يمثل إحدى أهم عوامل تنامي التطرف العنيف، لذا فان خروج الإنسان من دوامة الاستلاب الفكري تقع على عاتق المجتمع والدولة التي يعيش في كنفها الفرد المُستلب، التي تحتاج إلى تنمية الوعي الفكري السليم لإيجاد حصناً منيعاً ضد الأمواج الأيديولوجية الغريبة ذات الطابع الراديكالي المتشدد التي تعمل على تحويل الثقافات السائدة بشكل مغاير عن واقع مجتمعاتها وتراثها الثقافي.

وعليه فإنَّ تحصين المجتمعات بشكل عام والمجتمع العراقي بشكل خاص من أيديولوجيات الاختراق الفكري، ينعكس بشكل ايجابية على حماية قيم افراده وأخلاقياته من موجات ثقافية وفكرية مضادة وضارة له، لأن العمل على إيجاد أليات من شأنها تحصين الجبهة الداخلية للمجتمع كلما كانت متراصة البناء، فأن مسألة اختراقه من الموجات المعادية لها امراً صعباً، وذلك يستدعي العمل على وسائل عدة ذات مستويات ترتبط بآليات التنشئة تبدأ بالأسرة وجماعة الاقرباء مروراً بالمؤسسات التعليمية لغةً وادارة ومنهاجاً، وصولاً إلى ايجاد مؤسسات إعلامية ودينية فاعلة تتبنى النهج المعتدل وتنشره، فضلاً مراكز تأهيل نفسي لإعادة ربط الافراد المُستلبين بالمنظومة المجتمعية، وكلها وسائل لمكافحة التطرف.

References:

a. Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Part 1, Dar Sader, Beirut, Lebanon, 2010, p. 471.
b. Magdi Wehbe, Dictionary of Literary Terms, Lebanon Library, Beirut, 1974, p. 9.
c. Salim Attawa and Amer Yahyaoui, The Concept of Cultural Alienation and Its Impact on Identity among Algerian Youth, Facts Journal for Psychological and Social Studies, Issue (1), Zian Achour University of Djelfa, Algeria, 2019, p. 72.

d. Dr. Salah Hassan, The Role of Intellectual Security in Achieving Social Peace, Journal of the College of Law, Part 1, Volume (4), Issue (12), College of Law and Politics, University of Kirkuk, 2015, pp. 530-532.
e. Karim Muhammad Hamza, Cultural Penetration, Journal of Social Studies, Issue (6), Department of Social Studies - House of Wisdom, Baghdad, 2000, p. 46.
f. Walid Munir, Development and the Cultural Crisis (Between the Phenomenon of Alienation and the Effectiveness of Change - A Study in the Normative Rooting of Challenges), Our Culture Journal for Studies and Research, (Volume 6, Issue 22), Center for Iranian Cultural Studies, 2010, p. 132.
g. Mujahid Abdel Moneim Mujahid, Alienation in Contemporary Philosophy, 1st edition, Saad al-Din Printing and Publishing, Damascus, 1982, p. 20.
h. Ibn Manzur, Lisan al-Arab, 2nd edition, Dar al-Maaref, Cairo, 1981, p. 68.
i. Yes. Muhammad Abdel-Baqi Al-Harmasi and others, Religion in Arab Society, 2nd edition, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2000, p. 217.
j. Ahmed Kamel Al-Rashidi, Educational Research and Studies in Al-Mizan, 1st edition, Academic Library, Cairo, 1998, p. 125.
k. Aziz Jabr Shayal, The phenomenon of violence and extremism, causes and treatments, Al-Ustad Magazine, College of Education, No. 64, 2017, p. 850.
l. Hamed Taher, The Phenomenon of Religious Extremism, Identification and Solution, 1st edition, Academic Library, Cairo, 2000, p. 16.
m. Hussein Abdel Hamid Ahmed, Extremism and Terrorism from a Sociological Perspective, 1st edition, Dar Al-Ma'rifa, Egypt, 1997, p. 19.
n. Muhammad Mohi Al-Janabi, Policies for the Rehabilitation of Post-Conflict Societies (A Case Study of Iraq after the Events of 2014), 1st edition, Dar Degla Distributors and Publishers, Amman, 2020, pp. 46-47.
o. Kamel Hassoun Al-Qayyim, Parliament and Local Governments in Iraqi Public Opinion, Hammurabi Magazine, Issue 5, Hammurabi Center for Research and Strategic Studies, Iraq, 2013, p. 155.
p. Maitham Al-Janabi, The Philosophy of Iraqi National Identity, 1st edition, Mesopotamia Printing and Distribution House, Baghdad, 2012, p. 120.
q. Donia Jawad, Terrorism in Iraq - Studying the Real Causes (An Analytical Study of the Causes of Terrorism in Iraq and Its Social and Political Variables), Journal of Political Science, Issue (43), University of Baghdad, College of Political Science, 2011, p. 132.
r. Ismail Abdel Fattah Abdel Kafi, Education and Identity in the Contemporary World with Application to Egypt, 1st edition, Issue (66), Emirates Center for Strategic Studies and Research, UAE, 2001, p. 32.
s. Ahmed Fadel Jassim, Societal Instability...An Analytical Study of Societal Challenges and Future Prospects, Political and International Journal, Issue (25), Al-Mustansiriya University, College of Political Science, 2014, p. 7.

t. Hani Al-Hadithi, Iraq's status in the region, possible scenes, Hammurabi Journal of Studies, Issue No. 9, Hammurabi Center for Research and Strategic Studies, Iraq, 2014, p. 70.
u. Falah Kazem Al-Nima, Globalization and the Controversy Revolving Around It, 1st edition, Al-Warraq Publishing House, Amman, 2002, p. 168.
v. Muhammad Bashir Al-Shafi'i, Human Rights Law, 4th edition, Mansha'at Al-Ma'arif, Alexandria, 2007, p. 19.
w. Philip Greene, Democracy, translated by Muhammad Darwish, Dar Al-Mamoun for Translation and Publishing, Baghdad, 2007, p. 241.
x. Ahmed Ali Muhammad, Children of War in Iraq, Tikrit Journal of Political Science, Issue (11), College of Political Science, Tikrit University, 2017, p. 393.